

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[21] كلّ عالم الوجود، حيث يقول: (له ملك السموات والأرض). وأخيراً يشير إلى مسألة مرجعيّته فيقول تعالى: (وإلى الأ ترجع الأمور). نعم، عندما يكون الخالق والمالك والمدبّر معنا في كلّ مكان، فمن البديهي أن يكون رجوعنا ورجوع أعمالنا إليه كذلك. نحن سلكنا طريق عشقه ومحبّته، وبدأنا المسير حاملين معنا الأمل من نقطة العدم باتّجاهه، وقد سلكنا شوطاً طويلاً إلى أن وصلنا إلى مرتبة الوجود .. نحن من الأ سبحانه، وإليه نرجع، لماذا؟ لأنّه هو المبدء وإليه المنتهى. والجدير بالذكر أنّ الآيات الثلاث الآتية الذكر قد جاء فيها مثل هذا الوصف أيضاً: (له ملك السماوات والأرض). ويمكن أن يكون التكرار هنا بلحاظ أنّ الحديث كان - فقط - عن مسألة حياة وموت الموجودات الحيّة، وهنا نلاحظ توسّع البحث وشموليّته في رجوع كلّ شيء إلى سبحانه. وفي تلك الآيات مقدّمة عن بيان قدرة الأ عزّ وجلّ على كلّ شيء، وهنا مقدّمة لرجوع كلّ شيء إليه، وهاتان القضيتان تستلزمان مالكية الأ عزّ وجلّ للأرض والسما. التعبير بـ "الأمور" جاء - هنا - بصيغة الجمع، أي: أنّ جميع الموجودات - وليس الإنسان فحسب - تتحرّك باتّجاهه حركة دائمة وغير قابلة للتوقّف، وبناءً على هذا فإنّ معنى الآية لا ينحصر - فقط - بـ رجوع البشر إليه في الآخرة، بالرغم من أنّ موضوع المعاد من المصاديق البارزة لذلك الرجوع العامّ. وفي آخر مورد للبحث يشير إلى صفتين أُخريين بقوله تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)(1). 1 - "يولج" من مادّة (إيلاج) وهي الأخرى مأخوذة من مادّة (ولوج) والولوج بمعنى الدخول والنفوذ، والإيلاج بمعنى الإدخال والإنفاذ.